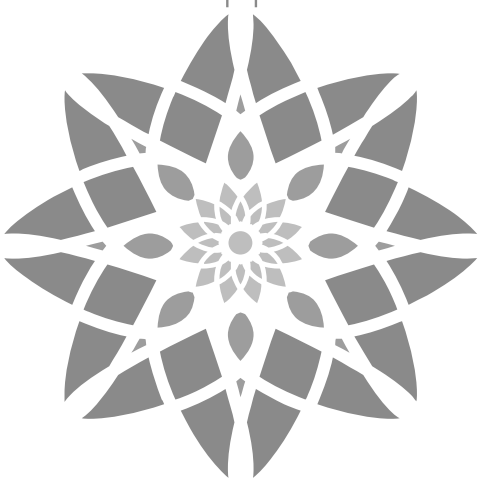


الباب الأول:

التاريخ القديم:

- **من بدء الخليقة (عهد آدم عليه السلام).**
- **إلى ما قبل بعثة محمد ﷺ.**

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١]

الفصل الأول
بدء الخليقة

تعريف الأمة الإسلامية:

الأمة الإسلامية هم الجماعة الذين تجمعهم العقيدة الإسلامية على مدار التاريخ، فالذين اتبعوا أنبيائهم من عهد آدم عليه السلام وإلى محمد ﷺ ومن سيسير على هديه إلى يوم القيامة، فيؤمن بربه، ويصدق الرسل، هم جميعًا الأمة الإسلامية. فالرابطة الأصيلة هي العقيدة، وليست اللغة أو التاريخ أو المكان أو الأصل أو غيره.

المخلوق الأول: آدم عليه السلام (أول الأنبياء):

اقتضت حكمة الله أن يستخلف مخلوقًا على هذه الأرض، ويسخر له كل كنوزها وطاقاتها، فكان هذا المخلوق هو آدم، خلقه الله من تراب، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأمر الملائكة بالسجود له، وطرد إبليس ولعن عندما رفض السجود لآدم امتثالًا لأمر الله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة: ٣٠].

ثم خلق الله لآدم حواء زوجًا له من ضلعه الأيسر وأسكنهما في الجنة، ثم إن إبليس الذي توعد بغواية آدم وذريته ما زال بهما حتى أغواهما وجعلهما يأكلان من الشجرة المحرمة. بعدها ندما وتابا إلى الله، فتاب عليهما، وأنزلهما إلى الأرض، وعلم جبريل آدم طرق المعيشة على الأرض من زراعة ورعي وغيره. فزرع وأكل وكان يجتهد للحصول على قوته ثم رزقهما الله بالأولاد. وحصل اختلاف في مكان نزولهما على سطح الأرض، وأكثر الأقوال أنه كان بجزيرة العرب، وكان الإنسان منذ ذلك اليوم في صورته الجميلة

المتكاملة ولم يتدرج ويتطور من صورة القرد كما يدعي الماديون أصحاب نظرية التطـور الباطلة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾[التين: ٤].

قابيل وهابيل (وأول جريمة على الأرض):

هما أول ابني آدم، وكانت شريعة الله أن يتزوج ذكر كل بطن بـأنثى الـبطن الآخـر، وكانت حواء تحمل في كل بطن ذكر وأنثى. فأراد قابيل وهو الأكبر أخت بطنـه (وهـي شرعًا لأخيه). فرفض هابيل، ثم قدما قربانًا لله فتقبل الله من هابيل قربانه وهـو كـبش طيب. لم يتقبل من قابيل الزرع الفاسد الذي قدمه لله، فحسده قابيل وقتله، فكانت أول جريمة يرتكبها بشر على سطح الأرض.

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

ثم رزق الله آدم شيثًا، ثم رزقه البنين والبنات الذين تزوجوا وتكاثر نسلهم، وكـان آدم يعلمهم التوحيد ويبلغهم دعوة الله إلى أن مات.

وقد روى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر قال: قلت: يا رسـول الله كـم الأنبيـاء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألف**»، قلت: كم الرسل منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثـة عشر: جم غفير**» قلت: من كان أولهم؟ قـال: «**آدم. ومـات آدم**». واختلـف في عمـره. وأصح الأقوال أنه بين ٩٥٠- ١٠٠٠ سنة[1].

شيث بن آدم عليه السلام:

هو من أبناء آدم، وكان نبيًا، واستمر في الدعوة إلى الله وإقامة شريعته في الأرض.

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير (ص ٥٧).

إدريس عليه السلام:

وهو النبـي بعـد آدم وشـيث، قـال تعـالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ٥٧﴾[مريم:٥٦-٥٧]. واستمر إدريس في الحكم بشريعة الله إلى أن قبضه الله. وذكر ابن إسحاق إنه أول من خط بالقلم.

وكان الغرض من إرسال الرسل استمرار شريعة الله، وإقامـة الحجـة عـلى النـاس. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾[الإسراء: ١٥]. وقـال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[النحل:٣٦].

الهجرات البشرية:

تكاثر السكان بجزيرة العرب (في الحجاز على أكثر الاحتمالات) فأخذوا يهـاجرون منها، وكانت الهجرات تأخذ الاتجاهات التالية:

١- نحو الشمال الشرقي: حيث استقروا في العراق، ثم واصلت جماعات مـنهم إلى آسيا وأمريكا.

٢- نحو الشمال: باتجاه الشام، ثم انتقلت جماعات إلى مناطق البحر المتوسط.

٣- نحو الجنوب: باتجاه بلاد اليمن، ومنها هاجرت جماعات إلى أفريقيا والهند.

وسنلاحظ أن كل الأنبياء خرجوا من جزيرة العرب والشام والعراق ومصر، فهـي كانت أول المناطق المعمورة على الأرض[١].

أول الحضارات:

كانت الحضارة الفرعونية والحضارة السـومرية هـي أول وأقـدم الحضـارات عـلى مسرح التاريخ[٢].

---

(١) التاريخ الإسلامي قبل البعثة، محمود شاكر (ص ٣٥).

(٢) موجز تاريخ العالم/ هـ. جـ. ويلز (ص ٦٢).



الفصل الثاني
ممالك وأنبياء العراق

بعد تكاثر السكان في جزيرة العرب هاجرت مجموعات نحو الشمال الشرقي، واستقرت في العراق وعملوا بالزراعة، وكانوا يعبدون الله ثم ما لبثوا أن عبدوا الأصنام.

دعوة نوح عليه السلام (أول الرسل):

بعث الله إلى هذه الأقوام نوحًا، كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على دين الحق ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[البقرة: ٢١٣] ثم صاروا إلى الفساد، وكانت بداية عبادة الأصنام أنه كان من قوم نوح رجال صالحين، وبعد موتهم قال أتباعهم (بوحي من الشيطان) لو صورناهم كان أشوق لنا إلى عبادة الله، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون، أخبرهم إبليس أنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم، فأشهر أصنامهم (ود وسواع ويعوق ونسر). دعاهم نوح إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأوثان، وبذل كل الأسباب لإقناعهم، فلم يجد إلا الصد والكفران، ولم يؤمن معه إلا القليل؛ بالرغم من أنه لبث فيهم ٩٥٠ سنة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأعراف: ٥٩]. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾[نوح:٥-٧]، فلما يئس منهم دعا عليهم ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[نوح: ٢٦]. فلبى الله دعوته وأمره بصنع الفلك وهي السفينة العظيمة: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[المؤمنون:٢٣]، وحمل معه من آمن به، ومن الحيوانات من كل زوج اثنين، استمر القوم في الفساد والسخرية منه ومن سفينته.

فلما انتهى حصل الطوفان العظيم وامتلأت الأرض بالمياه، تحركت السفينة شمالًا ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾[الحاقة: ١١] فأهلك الله القوم الكافرين، ثم رست السفينة على جبل الجودي (جبل أرارات في شرق تركيا اليوم) فخرج الركاب واستقروا هناك، وبدأت زيادة السكان من جديد، ثم تفرق أبناء نوح، فهاجر سام وآبناؤه باتجاه جزيرة العرب، واتجه أبناء حام جنوبًا نحو العراق وما جاورها، وتحرك يافث وذريته شرقًا وجزء منهم غربًا، وتفرق آخرون في اتجاهات متباينة.

الدولة السومرية (العراق):

استقرت مجموعة في ناحية من العراق يعرف بسهل شنعار، فعظم شأنهم، وعرفوا بالسومرين عملوا بالزراعة، وبنوا السدود، أقام بجانبهم قوم عرفوا بالأكاديين وعاصمتهم (أكاد)، وانتقل بعضهم إلى المرتفعات الشرقية من هذه البقعة، وبنوا مدينة (سوزا) وهم العيلاميون، وكان السومريون أكبر قوة في المنطقة، ومن أشهر ملوكهم (سرجون)، ومن مدنهم الشهيرة (أور)، عبدوا التماثيل والكواكب وتمادوا في غيهم وضلالهم، فبعث الله إليهم نبيه إبراهيم وهو من مدينة (أور).

إبراهيم عليه السلام:

هو من ذرية سام بن نوح، أرسله الله إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله، فجادلهم وناقش ملكهم (النمرود) الجبار المتغطرس الذي كان يدعي الألوهية. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[البقرة: ٢٥٨]. حطم إبراهيم أصنام قومه في غيابهم، وجعل الفأس في رأس كبيرهم ليبين لهم عجزها وبطلانها ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[الأنبياء: ٥٨].

تبين للقوم عجزها ومع ذلك استمروا في غيهم وضلالهم، وقرروا حرقه، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[الأنبياء:٦٨-٦٩]. بعد كل هذا الجهد لم يؤمن به إلا زوجه سارة ولوط ابن أخيه، فهاجر بهم إلى بلاد الشام. وسنكمل الحديث عن إبراهيم في موضوع الشام.

الدولة الأكادية والبابلية (في العراق)[1]:

أما السومريون قوم إبراهيم، فقد زاد غيهم وضلالهم، فسلط الله عليهم جماعات ظالمة تغلبت عليهم ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[الأنعام: ١٢٩] فسيطر الأكاديون على المنطقة. ثم أتت جماعات من الجنوب الغربي، فانتصروا عليهم، وحكموا المنطقة، وجعلوا عاصمتهم (بابل)، فعظمت دولتهم، وقد اهتموا بالزراعة والعمران، ومن أشهر ملوكهم (حمورابي) الذي وضع قوانين عرفت بـ (شريعة حمورابي) وهي أول قوانين بشرية وضعية على الأرض لغرض الهيمنة والسيطرة، وقد سقطت من بعده. استمروا في عبادة التماثيل والكواكب فسلط الله عليهم أقوامًا أهلكتهم، جاءوا من الشمال، منهم الحيثيون والميتانيون ثم الآشوريون.

الدولة الآشورية (العراق):

سيطر الآشوريون على تلك المناطق (شمالي العراق) وكانت عاصمتهم (نينوى)، ثم امتد نفوذهم إلى كل العراق وبلاد الشام وأجزاء من مصر، وأشهر ملوكهم (سلمنصر الثالث) و(آشور بانيبال) واستمروا في عبادة الأوثان، ولم يتعظوا بما حل بسابقيهم. ولم يعملوا عقولهم، أرسل الله إليهم نبيه يونس عليه السلام.

(١) المصدر السابق (ص ٤٠).

يونس عليه السلام:

أرسله الله إلى أهل نينوى، فدعاهم إلى عبادة الله وتوحيده، فلم يؤمنوا، فضاق بهم ذرعًا، وغضب، وسافر في سفينة في نهر دجلة، فأراد الله أن يعطيه درسًا لعدم صبره اضطربت السفينة، وكادت تغرق، فقرر من من عليها أن يقترعوا على من يرمونه في البحر تخفيفًا (حسب العادة المتبعة عندهم)، فوقعت القرعة على يونس لثلاث مرات، فرموه في البحر والتقمه الحوت بأمر الله، فندم يونس على فعله وتسرعه وتاب إلى ربه فغفر له. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾[الصافات:١٣٩-١٤٥].

عاد إلى قومه، فدعاهم، وكانوا قد ندموا على عنادهم، وتابوا إلى الله[1]. قال تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾[يونس: ٩٨].

حضارة الدولة الكلدانية (البابلية الثانية):

أصبح الكلدانيون حكام المنطقة، وأعظم ملوكهم كان (بختنصر) الذي استولى على بلاد الشام، ودمر القدس، واستباح اليهود وسلبهم ملكهم، فأهلكهم وشردهم وأسرهم، ومنذ ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل وتشتتوا في أنحاء الأرض، واستقر جماعات منهم في الحجاز ومصر وغيرها. واحتل بختنصر مصر، ومن أشهر أعماله بناء برج بابل المشهور، واستمرت هذه الدولة حتى قضى عليها الفرس، واحتلوا المنطقة حوالي عام ١١٦١ ق. هـ/ ٥٠٤ ق. م.

(١) تفسير ابن كثير (جـ ٤).

حضارة الدولة الفارسية:

ويعود الفرس في أصلهم إلى العراق، فهاجروا شرقًا، وعمروا فـارس، فلـما قويـوا غزوا الكلدانيين -كما ذكرنا- وسيطروا على مصر والعراق. فبقيت مصـر في حكمهـم إلى أن احتلها الاسكندر المقدوني (الحـاكم الإغريقـي). أمـا العـراق فقـد بقيـت تحـت سيطرة الفرس حتى الفتوحات الإسلامية.





الفصل الثالث
حضارات وأنبياء بلاد الشام

وصل البشر إلى الشام، وتوزعوا على شكل تجمعات متفرقة، أكبرها في غوطة دمشق وغيرها، وعلى السواحل.

بقية قصة إبراهيم (في الشام):

كان إبراهيم قد قدم من العراق إلى الشام (سكن في بلدة الخليل شرق بيت المقدس)، وجاءت سنوات عجاف، فارتحل مع زوجه إلى مصر، ورآها حاكم مصر فأرادها لنفسه، فطلب منها زوجها أن تقول عنه أنه أخوها (وهو فعلًا أخوها في الله) خوفًا من أن يقتله الحاكم، ففعلت، ثم إن الله حماها من هذا الملك فكان كلما أراد لمسها شلت يده، فعلم حقيقة أمرها وتركها وقدم لها أمة تدعى (هاجر)، وأمرهم بالخروج من مصر.

عاد إلى الخليل بالشام واستقر هناك، وأعطته سارة جاريتها هاجر، وقالت: (عسى الله أن يرزقنا منها غلامًا). ففعل، وحملت هاجر ووضعت ولدها إسماعيل. فغارت سارة وطلبت منه أن يغيب عنها هاجر وولدها. فسار بهما بإذن الله جنوبًا حتى وصل إلى موضع مكة المكرمة، فتركهما هناك، ودعا قائلًا: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[إبراهيم:٣٧].

عاد إبراهيم إلى الشام، وفي مكة عندما نفد الماء عند هاجر أخذت تبحث عنه، فسعت بين الصفا والمروة سبعًا وهي تفتش، حتى دلت على مكان زمزم، فضربه إسماعيل بقدمه، وهو يبكي من شدة العطش، فانبجس منه الماء بإذن الله، فاستقر مقامهم. وهاجرت قبيلة جرهم من اليمن ومرت بمكة، فسمحت لهم هاجر أن يقيموا معهم، ونشأ إسماعيل بينهم. وسنورد قصة إسماعيل في موضوع جزيرة العرب.

لوط عليه السلام وأهل سدوم:

هو ابن أخ إبراهيم، وقد آمن به وهاجر معه إلى الشام، وأقام ببلدة سـدوم جنـوب البحر الميت[1]، فبعثه الله إليهم، وكانوا يعدون من أفجـر النـاس وأكفـرهم، وابتـدعوا فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين، وهي إتيان الذكور (فعل اللواط).

قال تعـالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾[الأعـراف:٨٠-٨١].

أرسل الله إلى لوط ملائكة في هيئة بشر، فهـرع الكفـار إلـيهم يريـدون الفاحشـة بهـم، فصـدهم لـوط ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾[هود:٧٨].

طمأنته الملائكة وأمرته بمغادرة البلدة مع أهله ليلًا لينزل الله بهم العـذاب صـبحًا. قـال تعـالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾[هود:٨٢-٨٣].

عودة إلى بقية قصة إبراهيم:

بشر الله إبراهيم بولد من سارة (بعد إسماعيل بـ ١٣ سنة)، وكان إبراهيم قد بلغ من العمر عتيًا، (عاش إبراهيم ١٧٥ عامًا) وزوجه عجوز عقـيم، وكانـت البشـرى عـن طريق الملائكة، وهم في طريقهم إلى قوم لوط ليهلكـوهم ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾[هود: ٧١].

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، (١/ ١٧٦).

إسحاق بن إبراهيم عليه السلام:

هو ولد إبراهيم، وقد نشأ في منطقة الخليل. ورزق بيعقوب. (وهو إسرائيل) عاش (١٨٠) عامًا، وتابع دعوة أبيه إبراهيم بعد موته[١].

يعقوب بن إسحاق عليه السلام:

هو ولد إسحاق، وقد هاجر إلى حران (شمال بلاد الشام) وتزوج هناك، ورزقه الله باثني عشر ولدًا منهم يوسف عليه السلام وبنيامين (شقيقان). تابع دعوة أبيه إسحاق وجده إبراهيم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، عاش (١٤٧) عامًا.

يوسف بن يعقوب عليه السلام.. وانتقال بني إسرائيل إلى مصر:

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، كان يعقوب يحب أبناءه الصغار بنيامين ويوسف أكثر من غيرهما عطفًا عليهما، لوفاة أمهما (راحيل).

وحدثت ليوسف القصة المشهورة، وملخصها:

أن إخوته حسدوه، لحب أبيه له، فقرروا التخلص منه، أرسله أبوه معهم بعد إلحاح شديد، فخرجوا به وألقوه في الجب (البئر)، وعادوا إلى أبيهم يبكون، وادعوا أن الذئب أكله، مرت قافلة متجهة من الشام إلى مصر، فاستخرجوه وأخذوه إلى مصر وباعوه هناك، واشتراه (عزيز مصر) وربَّاه، وشب يوسف وكان في غاية الجمال والبهاء، فراودته امرأة العزيز عن نفسه، فامتنع، ثم ادعت أنه راودها عن نفسها، وقد اقتنعوا جميعًا بصدقه وكذبها، ومع ذلك أدخلوه السجن وبقي فيه بضع سنين. وأخرجه الحاكم بعد ما فسر له الرؤيا التي رآها، وبعد أن اعترفت امرأة العزيز بذنبها، ورأى الحاكم فيه

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير (ص ١٩٦).

القدرة على إدارة الأعمال، فولاه الخزانة والتصدير، فكان يبيع القمح للبلاد المجاورة التي كانت تعاني من القحط والجدب. وهذا يدل على مدى الرخاء والخصب في أرض مصر في تلك الفترة. وجاءت قوافل الشام تشتري الحبوب ومعهم إخوة يوسف فعرفهم ولم يعرفوه، فباعهم وطلب منهم إحضار أخيهم المرة القادمة. ثم عادوا وأخبروا أباهم فرفض، ولم يوافق إلا بعد إلحاح شديد، فذهبوا إلى مصر واشتروا، وأثناء عودتهم قبض عليهم واتهموا بسرقة صواع الملك. وفتشوا فوجد في رحل بنيامين فأخذه يوسف وكان كل ذلك بتدبير منه. وعادوا فأخبروا أباهم فحزن حزنًا أفقده بصره، وأمرهم بالبحث عن يوسف وأخيه. ذهبوا إلى مصر، فعرفوا يوسف، وعفا عنهم، وطلب منهم أن يعودوا ويأتوا بأهلهم جميعًا ففعلوا، وهكذا انتقل بنو إسرائيل إلى مصر، وكان عددهم لا يزيد على المائة وبقوا فيها (٥٠٠ عام)، ثم غادروها مع موسى وهم أكثر من (١٦٠٠ رجل) عدا الذراري. وقصة يوسف بتمامها مذكورة في القرآن في سورة يوسف.

الأحوال في بلاد الشام وبعض أنبياء وحضارات[1] هذه الفترة:

حصلت هجرات كثيرة إلى بلاد الشام من العراق أو الجزيرة، وتوزع المهاجرون في المناطق الخصبة، فقامت الدولة العمورية في المناطق الشمالية، وقامت الدولة الفينيقية على سواحل البحر المتوسط، والدولة الكنعانية في فلسطين وما حولها. ولقد أشركوا جميعًا بالله، وعبدوا الأصنام، فأرسل الله إليهم كثيرًا من الرسل فلم يجدوا إلا التكذيب والتمادي في الكفر، فمنهم:

(١) البداية والنهاية(١/ ١٩٧).

أيوب عليه السلام:

أرسله الله إلى بني إسرائيل، وكان كثير المال والأهل، فسلب منه ذلك، وابتلي في جسده بأنواع البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله بهما، وتخلى عنه الجميع، إلا زوجته، وألقي في المزابل خارج البلدة، واستمر ابتلاؤه (١٨) عامًا، وكان ذلك امتحان وابتلاء له من الله. ثم شفاه الله. قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأنبياء:٨٣-٨٤]. واستمر يتنقل في شمال سوريا يدعو إلى عبادة الله.

اليسع عليه السلام:

من أنبياء بني إسرائيل ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾[ص: ٤٨].

يس عليه السلام:

بعثه الله لأهل الشام. قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[يس:١٣-١٤].

إلياس عليه السلام:

أرسله الله إلى بعض بلاد الشام (تذكر بعض المصادر أنه بعث إلى أهل بعلبك ولبنان) وكانوا يعبدون صنمًا اسمه بعل فدعاهم إلى عبادة الله فكذبوه. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[الصافات:١٢٣-١٢٥].

نلاحظ أن الأنبياء كثيرون لهذه الأقوام ولا نعرف إلا بعضهم المذكورين في القرآن. كما أن المؤمنين بهم كانوا قليلين جدًا.

يوشع بن نون عليه السلام:

هو الذي قاد بني إسرائيل بعد موسى ويعتقد أنه المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ وكان هارون عليه السلام تُوفي وبنو إسرائيل ما زالوا في التيه والضياع الذي كتبه الله عليهم في صحراء سيناء. وتُوفي موسى عليه السلام أيضًا في تلك الفترة. وقد استمرت (٤٠) عامًا (وسيأتي ذكر قصة موسى في موضوع مصر).

المهم أن من بقي منهم خرج مع يوشع، فذهبوا إلى بيت المقدس، ونظم يوشع جيشًا من بني إسرائيل وقسمه إلى (١٢) قسم حسب الأسباط، أبناء يعقوب (إسرائيل) واستطاع أن يفتح بهم أريحا ثم بيت المقدس ثم لبث فيهم (٢٧) سنة، يحكم بكتاب الله التوراة، وبعد موته عادوا إلى ضلالهم وفسادهم.

في هذه الفترة جاءت جماعات أخرى من الجزيرة العربية واستقروا في سوريا وهم (الآراميون)، وأسسوا ممالك قوية في دمشق وحماة وغيرها. وقد عبدوا الأصنام. وأشهر أصنامهم: عشتار وأدونيس.

حزقيل بن بوذي عليه السلام:

تولى أمر بني إسرائيل بعد يوشع بن نون ولم يطل عهده. وتفرقت بعده بنو إسرائيل وضعف أمرهم، فكانوا يفسدون في الأرض ويقتلون أنبيائهم، فسلط الله عليهم الأعداء، وبدل الأنبياء بملوكًا جبارين طغاة، فسفكوا دمائهم ظلمًا وعذبوهم وتغلب عليهم أهل غزة وعسقلان، وسلبوا منهم التابوت المقدس (الذي يحتوي على رفات يوسف عليه السلام)، ثم انقطعت النبوة في بني إسرائيل وانقسمت دولتهم واستمروا على ذلك (٤٠٠) عام تقريبًا، إلى أن بعث الله إليهم بعد ذلك شمويل نبيًا.

شمويل عليه السلام[1]:

طالبه بنو إسرائيل بالقتال وأن يعين عليهم ملكًا ليقاتلوا تحت قيادته، فاختار لهم طالوت ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ﴾[البقرة:٢٤٧]، فماطلوا في البداية لفقر طالوت. قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ﴾[البقرة: ٢٤٨]. فلما تحققت تلك المعجزة، انصاعوا وانضووا تحت قيادته.

حدث القتال بين بني إسرائيل وبين العمالقة بقيادة جالوت في مرج الصفر (جنوب دمشق) واستطاع داود عليه السلام أن يقتل جالوت الجبار بواسطة حجارة ومقلاع فقط. وكان داود غلامًا حدثًا في جيش طالوت. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ﴾[البقرة:٢٥٠-٢٥١].

داود عليه السلام:

اشتهر داود بين قومه، وكان طالوت قد وعد أن من يقتل جالوت يعطيه نصف ملكه، ويزوجه ابنته، لذا اضطر أن يتنازل عن الملك لداود، ويزوجه ابنته، فآتاه الله النبوة إضافة إلى الملك. فأقام شريعة الله فيهم وأنزل الله عليه كتاب الزبور. قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[النساء:١٦٣]، وأكرمه الله بمعجزات. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير (ص ٢٢٠).

فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾[سبأ:١٠]. وكـان مجاهـدًا في سـبيل الله، كثـير العبادة، وكان لا يأكل إلا من عمل يده وكان عمله حدادًا. وخلفه في الملك والنبوة ابنه سليمان. كانت فترة داود وسليمان هـي فـترة الرخـاء والاسـتقرار الوحيـدة التـي قـدر للشعوب العبرانية أن تعيشها على مر الدهر كله[1].

سليمان عليه السلام:

تابع جهاد والده ووصل إلى دمشق، وأخضع اليمن وأذل حكامهـا مـن السـبئيين، وتزوج ملكتهم بلقيس، وقد أبقاها على اليمن خاضعة له، وقـد آمنـت بـالله مـع أكثـر قومها بعد أن كانوا يعبدون الكواكب والشمس، ومن أعماله تجديد بناء المسجد الأقصى (شيده يعقوب أو أبوه إسحاق بعد بناء الكعبة بأربعين عامًا). قال تعـالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾[النمل: ١٦].

ودعا سليمان لنفسه، فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ ﴾[ص:٣٥]، فاستجاب الله له وسخر له الريح والإنس والجن وعلمه لغة الحيوان. قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾[ص:٣٦- ٣٨].

استمر في ملكـه (٢٠) عامًـا يقـيم شريعـة الله في الأرض، وبعـد موتـه خلفـه ابنـه رحبعام، وضعف بنو إسرائيل من بعده وزاد فسادهم.

(١) موجز تاريخ العالم/ هـ. جـ. ويلز (ص ٩٢).

شعيا بن أمصيا عليه السلام:

هو من أنبياء هذه الفترة، وقد حاول الكلدان دخول بيت المقدس بقيادة ملكهم سنحاريب. فأهلكهم الله بدعاء هذا النبي. فلم يزداد اليهود إلا شرًا وفسادًا فقتلوا نبيهم شعيا[1].

بعث الله بعده النبي أرميا بن حلقيا عليه السلام وغيره من الأنبياء، فاستمر اليهود في تكذيب أنبيائهم وقتلهم.

ملاحظة: الأحداث والأسماء التي لم ترد في القرآن الكريم أو الحديث النبوي مأخوذة من الإسرائيليات المدونة في قصص الأنبياء وتفسير القرآن لابن كثير.

وقد قال النبي ﷺ: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[2]، وقال: «**ما حدثكم به أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»[3]. أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

خراب بيت المقدس:

سلط الله على اليهود الملك الكلداني (البابلي) بختنصر (نبوخذ نصر)، فهدم بيت المقدس وقتلهم وشردهم، ومن ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل في الأرض، وسكنوا في الحجاز ومصر وغيرها، بعدها قضى الفرس على الكلدانيين، واستولوا على الشام ومصر.

---

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير (ص ٤٤٧).

(٢) أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود وابن حنبل.

(٣) سنن أبي داود (٢/ ٢٨٥).

وصول العمران إلى أوروبا:

تنقل الناس من الشام باتجاه الأناضول وجنوب أوروبا (المشرفة على البحر المتوسط)، ثم امتدت الهجرات إلى أوروبا الشمالية، وكانت أكثر الجهات عمرانًا منطقة البلقان وإيطاليا. وقد أسسوا حكومات قوية هناك. كان أبرزها حضارة الإغريق ثم الرومان.

عودة إلى بقية تاريخ بني إسرائيل:

ضعف الكلدان بعد موت بختنصر، فعاد بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وعمروه، ولكن بقوا ضعفاء بسبب تكذيبهم وقتلهم لأنبيائهم، وانتشار المنكر بينهم، فخضعوا وذلوا للفرس ثم للإغريق ثم للرومان.

زكريا وابنه يحيى عليهما السلام:

وهم من أواخر أنبياء بني إسرائيل، ولم يجدوا من قومهم إلا التمادي في الطغيان والضلالة. واستمرا في الدعوة إلى الله حتى كان مقتلهما عليهما السلام على أيديهم. قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾[مريم: ٧]. وقال: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنعام: ٨٥].

عيسى عليه السلام:

وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، ولد في بيت لحم بفلسطين، والدته هي مريم العذراء، التي تربت في بيت النبي زكريا (زوج خالتها)، وعرفت بالعفة والطهارة، حملت به من غير أب بإذن الله. فكانت المفاجأة مخيفة لها، فاتهمها قومها في عفتها فأشارت إليه، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۝٢٧ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝٢٨ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾[مريم:٢٧-٣١].

أقام في الناصرة في فلسطين. وأخذ يدعو إلى عبادة الله، وآتـاه الله كتـاب الإنجيـل، وكان يعظ كل مـن يلتقـي بـه، وكـان مـن معجزاتـه، شـفاء المـرضى، وإبـراء الأكمـه والأبـرص، وإحيـاء المـوتى بـإذن الله، ولازمـه الحواريـون في الـدعوة، وقـد أرسـل مجموعات منهم إلى باقي بلاد الشام للدعوة. تآمر بنو إسرائيل عـلى قتلـه، فسـلموه إلى حاكم فلسطين الروماني (بيلاطس)، فأراد القضاء عليه صلبًا. ولكن الله نجـاه، حيـث شبه لهم بغيره. ورفعه الله إليه[١].

نكَّل قياصرة الروم ومعهم بنو إسرائيل بأتباع السيد المسيح، فضعف أمرهم كثـيرًا، وزاد الأذى في عهد نيرون الذي اتهمهم بإحراق روما حوالي عام (٥٥٨ ق. م/ ٨٠ م). هاجر قسم منهم إلى الحجاز وما حولها، ثم أخذت النصرانية تنتشر حتى أصبحت ديانة الدولة الرومانية[٢].

(١) القصة في سورة مريم.

(٢) التاريخ الإسلامي قبل البعثة، محمود شاكر.



الفصل الرابع
حضارات وأنبياء (مصر)

بعد طوفان نوح تفرق أبناء نوح كما ذكرنا، فسام وأبناؤه توزعوا في العراق والجزيرة واليمن وغيرها، أما حام وأبناؤه فانتقلوا إلى الهند، وبعضهم إلى إفريقيا، فتفرقوا هناك، فاستقر جماعة البوشمن في جنوب غرب أفريقية، وكانوا وثنيين، فسلط الله عليهم (الهتنتوت) ثم سيطر زنوج البانتو على الأوضاع، وهناك من لجأ إلى مجاهل وغابات أفريقيا، وسكن البربر في الشمال الغربي. وسكن المصريون القدماء شمالًا حول نهر النيل، وكانوا جميعهم على عبادة الأوثان.

الحضارة الفرعونية:

كانت مصر من أخصب مناطق أفريقيا، لذا تكاثر سكانها، وقامت فيها دولة الفراعنة، التي أدعى حكامها الألوهية، وسخروا الشعب لبناء الأهرامات الضخمة والتماثيل، وسموها (حضارة) وليست بكذلك.

في هذه الفترة قدم إبراهيم وزوجه سارة إلى مصر، وأراد فرعون اصطفائها لنفسه، فأنقذها الله منه، فأعطاها هاجر هدية، وأمرهما بمغادرة مصر (كما ذكرنا سابقًا).

سلط الله على الفراعنة الظالمين رعاة من بلاد الشام، فقوي أمرهم وأخضعوا المنطقة، وأصبحوا ملوكًا، وعرفوا باسم (الهكسوس).

يوسف في بلاد مصر:

في هذه الفترة أقام يوسف وأهله في مصر وكان يحكمها الهكسوس، وكانوا مثل سابقيهم ظالمين ومستبدين، فرفضوا الحق، فسلط الله عليهم الفراعنة، بعد أن قوي أمرهم على يد (أحمس)، فسيطروا على مصر وامتد نفوذهم إلى حدود العراق في زمن

(تحتمس الثالث) و(رمسيس الثاني) اللـذين حاربـا الدولـة الحيثيـة في الشـام وقضـوا عليها، وزادت الخيرات فزاد كفرهم وفسوقهم.

بدأ الفراعنة في هذه الفترة بقتل ذكور بني إسرائيل؛ لأن الإسرائيليين أشاعوا أنه سيأتي لهم ابن يقضي على فرعون وقومه. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾[القصص:٤].

موسى بن عمران عليه السلام.. وعودة بني إسرائيل إلى الشام:

أرسل الله إلى هؤلاء جميعًا موسى، وهو من بني إسرائيل، وأنجاه الله من الذبح، حيث ألقته أمه بعد ولادته في البحر داخل صندوق بأمر الله، فوصل إلى قصر فرعون، فاتخذه ولدًا عندما أصرت زوجته آسيا على ذلك. وكان محرومًا من الإنجاب. فتربى وشب في قصور فرعون. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص:٧-٨].

كبر موسى، وكان بفطرته يميل إلى قومه، وحدث قتال بين قبطي وإسرائيلي، فاستنصر الإسرائيلي بموسى الذي وكز القبطي وقتله، (وكان موسى قوي البنية)، وكادت الحادثة تتكرر، فعلم موسى أن خبره انتشر. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾[القصص: ٢٠].

فهرب إلى بلاد مدين. وهناك ساعد فتاتين على سقي أغنامهما، فعرض عليه أبوهما شعيب أن يزوجه إحدى ابنتيه مقابل أن يعمل عنده (٨- ١٠ سنوات) فتم ذلك. وقرر موسى أن يعود بأهله إلى مصر. وفي منطقة سيناء أوحى الله إليه وبعثه إلى فرعون وملئه، ودعمه بأخيه هارون، وزوده بالمعجزات.

دعا موسى فرعون فكذب وعصى وادعى أنه هو الله. وأن معجزات موسى (وهـي اليد البيضاء والحية) مجرد سحر. وحدد له يومًا ليجمع له السحرة ليغلبوه.

قـال تعـالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾... الآيات [النازعات:١٥- ٢٥].

في اليوم الموعود تغلب موسى على السحرة وتبين لهم مـا كـانوا عليـه مـن الباطـل فآمنوا بالله. فصلبهم فرعون وقتلهم، ثم اشتد أذاه وبطشـه لبنـي إسرائيـل، فعاقبـه الله وقومه بالقحط وبالسنوات العجاف فلم يرتدعوا، وأنزل بهـم عقوبـات أخـرى. قـال تعـالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[الأعراف:١٣٣].

اشتد ظلم فرعون وطغيانه، فأمر الله نبيه موسى أن يهاجر بقومه إلى الشام، فلحقهم فرعون وجنوده، فألجأوهم إلى البحر، فضرب موسى البحر بعصاه بـإذن الله، فأصـبح طريقًا سهلًا فعبر وقومه. وعنـدما حـاول فرعـون وجنـده العبـور عـاد مـاءً. فغرقـوا وأهلكهم الله. وأما موسى ومن معه فقد وصلوا إلى الضفة الأخرى بأمان.

قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾[طـه:٧٧- ٧٩]. ثم طلب اليهود من موسـى طعامًـا فـأنزل الله لهـم المـن والسـلوى، وواصل المسير بهم حتى وصلوا إلى منطقة جبل سيناء.

صعد موسى الجبل وأقام عليه (٤٠) يومًا، حيث كلمه الله وأنزل عليه التوراة والوصايا مكتوبة في ألواح من حجر. ثم عاد إلى قومه فوجدهم يعبدون عجلًا صنعوه من حليهم الذهبية، فغضب غضبًا شديدًا، وتخلص منه. وأمرهم أن يقتل بعضهم بعضًا عقابًا لهم، بأمر من الله. كما أخبرهم أن الله كتب عليهم التيه والضياع في صحراء سيناء (٤٠) عامًا. وتُوفي هارون ثم موسى خلال هذه الفترة -كما ذكرنا سابقًا-.

مصر بعد الفراعنة:

بعد هلاك فرعون ضعفت دولة الفراعنة. فاحتل الفرس مصر سنة (٣٠٥ ق. م)، ثم أخضعها الإغريق بقيادة الإسكندر المقدوني، ثم حكمها البطالمة، وبعدهم الرومان، وانتشرت فيها النصرانية وعرف سكانها بالأقباط، واستمروا كذلك حتى جاءهم الفتح الإسلامي، وأنقذهم من الضلال.





العرب هم الجنس الأول الذي تلقى الإسلام. وحمل ألويته ودعوته. فجديرٌ بنا أن نتعرف عليهم. يطلق مسمى العرب على الأقوام التي عاشت في شبه الجزيرة العربية.

❖ **وهذه الجزيرة يمكن أن نقسمها إلى قسمين**[1]:

- قلب الجزيرة: وهي بادية، وأهم مناطقها نجد.
- دائر الجزيرة: وسكانها حضر، وأهم مناطقها: اليمن جنوبًا، وغسان شمالًا، الإحساء والبحرين شرقًا، الحجاز غربًا.

أقسام العرب:

الجنس العربي هو أحد الأجناس السامية، ولعله أكثرها محافظة على خصائص الساميين، واللغة العربية هي أحد اللغات السامية. وقد قسم المؤرخون العرب إلى:

- عرب بائدة، وعرب باقية.

أولًا: عرب بائدة:

أي المندثرة والفانية. ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس وأصحاب الرس وأهل مدين.

أنبياء الله إلى العرب البائدة هم:

هود عليه السلام:

أرسله الله إلى قوم عاد وهم عرب، سكنوا في منطقة الأحقاف (حضرموت) وهي أول قبيلة عبدت الأصنام بعد الطوفان، وكانوا أصحاب قوة ومال. فعمروا وشادوا وزرعوا. ثم عتوا عن أمر ربهم، فأرسل لهم هودًا وهو منهم. فكذبوه.

---

(١) التاريخ الإسلامي، د. أحمد شلبي (١/ ٨٢).

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٥-٦٦]. كثروا وانتشروا حتى إن قحطان بن عاد وذريته انتشروا في اليمن وعرفوا بـ (عاد الثانية) واستمروا في طغيانهم وعتوهم حتى أهلكهم الله. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾[الحاقة:٦-٨].

صالح عليه السلام:

أرسله الله إلى قبيلة ثمود، الذين سكنوا في منطقة العلا (بين المدينة وتبوك)، وقد كانوا بعد هلاك عاد. وهم عرب أيضًا. وعبدوا الأصنام. أرسل الله إليهم نبيه صالحًا فدعاهم إلى التوحيد، فرفضوا، ثم طلبوا منه سخرية أن يخرج لهم ناقة من صخرة صماء، فحقق الله المعجزة، ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر. فقتلوا الناقة، وبعد ثلاثة أيام جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفلهم فأهلكتهم.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾[الشمس:١١-١٥].

شعيب عليه السلام:

أرسله الله إلى أهل مدين (أصحاب الأيكة)، وقد سكنوا شمال غرب جزيرة العرب (تبوك وجنوب الأردن)، وكانوا فاسدين عرفوا بقطع الطريق. وإنقاص الكيل والميزان، وعبدوا شجرة ضخمة وسط الأيكة، فعرفوا بأصحاب الأيكة.

قـــال تعـــالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ﴾[هود: ٨٤].

فاستمروا في تكذيبهم، فأباد الله جماعة منهم بعذاب الصيحة، وجماعة أخرى بعذاب يوم الظُّلَّة. قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩]. وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾[هود: ٩٤].

من الأمم التي أهلكها الله في جزيرة العرب أهل حضورا (وسكنوا بحضرموت أو اليمامة)، وهم أصحاب الرس. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾﴾[ق: ١٢].

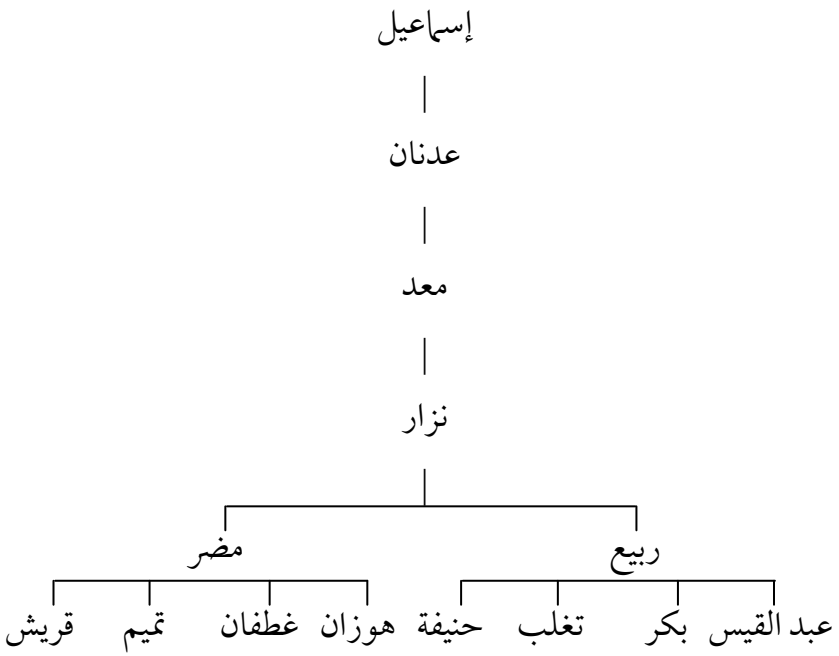
ثانيًا: عرب باقية:

وهم الباقون حتى الآن، وهم بنو قحطان وبنو عدنان.

فبنو قَحطان: هم العرب العاربة (العرب الأصليين)، وموطنهم الأصلي جنوب الجزيرة ومنهم ملوك اليمن، والمناذرة والغساسنة، وملوك كنده، ومنهم الأزد (الذين تفرع منهم الأوس والخزرج).

أما بنو عدنان: فهم العرب المستعربة (الذين اكتسبوا اللسان العربي). وهم عرب الشمال، وموطنهم الأصلي مكة المكرمة، وهم ذرية إسماعيل بن إبراهيم، وأهم أبناء إسماعيل عدنان.

ومنه انحدرت القبائل العربية:



التاريخ السياسي للعرب (قبل الإسلام):

كان العرب -كما ذكرنا- بدو وحضر. والفكـر السـياسي عنـد البـدو يختلـف عنـه عند الحضر.

قبائل البدو:

البدو عاشوا كقبائل صغيرة متفرقة في الصحاري، ووحدة القبيلة تربط بينهـا الـدم والعصبية. ولم يكن سهلًا قيام ارتباط بين عـدد مـن القبائـل لتكـوين ممالـك؛ لطبيعـة التمرد وعدم الخضوع عند البدو.

مملكة كندة (٤٨٠ - ٥٢٩م):

وهي المملكة الوحيدة التي قامت في أواسـط الجزيـرة العربيـة بـين الحكـم القـبلي. وكانت قصيرة العمر، وأول ملوكها (حجر آكل المرار) وكان تابعًا لملوك حمير في اليمن. واستطاع حفيده الحارث بن عمرو أن يمد نفوذه إلى الحيرة. ثم انهـار ملكهـم وعـادت الحياة القبلية. وينسب امرؤ القيس (أحد شعراء المعلقات الجاهليين) إلى ملـوك كنـده، وقد حاول إعادة ملك آبائه ففشل.

ممالك الحضر:

تركزت في ثلاث مناطق: اليمن - الشمال - الحجاز.

١ - ممالك اليمن:

- **مملكة معين، مملكة قتبان:** (١٢٠٠ ق. م - ٧٠٠ ق.م)، وهما متعاصرتان تقريبًـا. وهما أقدم ممالك اليمن. والمعلومات المتوفرة عنهما قليلة.

- **مملكة سبأ: (٩٥٥- ١١٥ ق.م)**: قامت سبأ على أنقاض معين وقتبان. وانضمت لها حضرموت، وكانت عاصمتها مأرب، وترجع شهرة سبأ إلى سببين هامين هما:

أ- ملكة سبأ (بلقيس) وقصتها مع النبي سليمان (سورة النمل).

ب- سد مأرب العظيم الذي كانت نتيجته أن كثر الرخاء باليمن وعمت الخيرات. ثم ضعف هذا السد وانهار أخيرًا، فكان سيل العرم. فهاجر كثير من السكان إلى الشمال، وآذن ذلك بسقوط سبأ، وقيام حمير.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾... الآية [سبأ:١٥-١٦].

- **مملكة حمير: (١١٥ ق. م- ٥٠٠م)**: قامت بعد انهيار نفوذ مملكة سبأ. واتخذت ظفار عاصمة لها. وكان ملوكها يلقبون بالتبابعة. وقد خلفت سبأ وحمير آثارًا تدل على العظمة والرقي.

ضعفت هذه الدولة في أواخر عهدها، مما أدى إلى احتلال اليمن من قبل الروم ثم الفرس.

سيطرة الروم على اليمن:

خَيَّر (ذو نواس) ملك حمير الذي اعتنق اليهودية خير المسيحيين في نجران بين اعتناق اليهودية أو الموت، فاختاروا الموت، فحفر لهم أخدودًا وأحرقهم فيه. قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾﴾[البروج:٤-٦].

ففر بعضهم، واستنصروا بحاكم الحبشة المسيحي (النجاشي) الذي طلب مساعدة قيصر الروم (حامي المسيحية) والذي أرسل السفن والسلاح، فاستطاع النجاشي إخضاع اليمن بواسطة قائده (أرياط)، الذي سرعان ما تمرد عليه (أبرهة) أحد مساعديه، فقتله، وأصبح هو حاكم اليمن، وكان ذلك في زمن عبد المطلب بن هاشم (جد الرسول محمد).

سيطرة الفرس على اليمن:

ثم فر أحد أولاد ملوك حمير واسمه (سيف بن ذي يزن) إلى فارس، وطلب نجدتهم لإخراج الأحباش من بلاده، فاستجاب الفرس، فقدموا وانتصروا على الروم، ثـم أمـر كسرى أن يتوج سيف ملكًا على اليمن. وبعد مقتـل سـيف، أرسـل كسـرى (وهـرز) ليكون حاكمًا لليمن تابعًا للفرس، وبعد وهرز حكم أبناؤه وأحفاده. وعند بعثـة محمـد كان حاكم اليمن الفارسي (باذان) وهو من ذرية وهرز، وقـد دخـل بـاذان في الإسـلام عندما دُعِيَ إليه.

٢- ممالك شمال الجزيرة:

أ- مملكة الأنباط (٤٠٠ ق. م- ١٠٥م):

هم قبائل بدوية. استقروا جنوب سوريا. وامتدت مملكتهم مـن غـزة شـمالًا حتـى العقبة جنوبًا، فاتخذت موقعًا هامًا في طريق التجارة بين الشـمال والجنـوب. وكـان لهـا إتاوة على التجارة الصاعدة والهابطة. وعاصمة الأنباط مدينة (البتراء).

بلغت غاية مجدها في القرن الأول الميلادي. حيث امتد نفوذها إلى دمشق، وامتـدت جنوبًا حتى مدائن صالح (ولهم آثار معمارية عظيمة هناك حتى الآن). وأشهر ملوكهم: الحارث الثالث، وعبيدة الثاني. استولى عليها الرومان سنة (١٠٥ م).

ب- مملكة تدمر:

وهي عريقة في القدم. وقد ورد لها ذكر قبل الميلاد بأكثر من ألف عام، وبلغت ذروة مجدها في القرن الثاني والثالث الميلادي. وكان لها موقع تجـاري واسـتراتيجي هـام بـين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، وكانت مرتبطة بالرومـان. لـذا خاضـت حروبًـا

مدمرة ضد الفرس، وانتصرت فيها انتصارات مؤزرة، وذلك في عهد ملكهـم (أذينـة) الذي بسط نفوذه على سوريا كلها، ثم تولت بعده زوجته زنوبيا (الزباء)، التـي تحـدت الروم. وخاضت معهم صراعات عنيفة، إلى أن هزمت، ودمـرت مملكتهـا. وقـد عبـد الأنباط والتدمريون الأوثان وقوى الطبيعة.

ج- مملكة الحيرة:

هم من عرب اليمن المهاجرين، قامت مملكتهم في شمال الجزيرة (جنـوب العـراق) تابعة للفرس، تحميهم ويحمونها، وأشهر ملوكهم: عمرو بن عدي والمنذر بن ماء السماء والنعمان بن المنذر، وبعد النعمان عين كسرى إياس بن قبيصة على الحـيرة. وأشرك معـه رجلًا فارسيًا، وفي هذا العهد قدم المسلمون وفتحوا الحيرة بقيادة خالد بن الوليـد سـنة (١٢ هـ/ ٦٣٣ م) فصالحهم إياس على الجزية، ثم دخلوا في الإسلام بعد ذلك.

د- مملكة غسان:

هم من عرب اليمن الهاجرة بعد انهيـار سـد مـأرب -مثـل منـاذرة الحـيرة- وقـد استقروا ببادية الشام، فأصبحوا تابعين للروم يحمونها من هجمات العرب. وكان الحكم في البداية لقبيلة (الضجاعمة) وأشهر ملوكهم: زياد بن الهيولة. ثم حكمت قبيلـة بنـي جفنة واتخذوا دمشق عاصمة لهم، ومن أشـهر ملـوكهم: الحـارث بـن جبلـة، والمنـذر ابن الحارث، وجبلة بن الأيهم، وهو آخر ملوك الغساسنة، وفي عهده دخـل المسـلمون بلاد الشام، ويقال أن جبلة أسلم ثم ارتد وهرب إلى الروم في عهد عمر بن الخطاب.

الأهمية الحضارية للمناذرة والغساسنة:

أهم دور لعبته هاتان الملكتان هو أنهما كانتا جسرًا عبرت عليه ألوان من حضارة الفرس والروم إلى الجزيرة العربية. وأهم هذه الألوان الحضارية: الأديان وضروب من المعارف العامة، والفنون الحربية وغيرها.

٣- الحجاز:

الحجاز هو الموطن الأول للدعوة الإسلامية، فيه ولد الرسول ونشأ، وهو منزل الوحي، ومشرق النور، ومن الحجاز انطلقت صيحة الإصلاح ودعوة الإسلام. وقد نقل الإسلام الحجاز من مكان عربي إلى مكان إسلامي عالمي.

نشأة مكة (وقصة إسماعيل عليه السلام):

كما ذكرنا سابقًا - قدم إبراهيم بزوجه هاجر وابنه إسماعيل، وتركهما في مكة، وقد كانت صحراء قاحلة، وكان الله قد أمره بذلك، ودعا إبراهيم ربه أن يجعل مكة دار أمان وعمار.

تدفقت بئر زمزم. ومرت قبيلة جرهم اليمنية حول مكة، فسمحت لهم هاجر بسكناها، ونشأ إسماعيل بينهم وتعلم لغتهم العربية، ثم تزوج منهم، وكان إبراهيم يزورهم بين حين وآخر.

وفي إحدى الزيارات أمره الله بذبح ابنه إسماعيل، فاستسلما لأمر الله وعند التنفيذ فداه الله بكبش عظيم. وكان ذلك ابتلاء من الله، ثم قاما ببناء الكعبة تنفيذًا لأمر الله. وبعث الله إسماعيل رسولًا لقبيلة جرهم ومن حول مكة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾[البقرة:١٢٧-١٢٨].

بعد إسماعيل تغلبت جرهم على مكة فحكمتها، ثم أفسدت فيها، ثم خضعت مكة لخزاعة وهم من اليمن أيضًا، وكان بنو إسماعيل على الحياد. ودخلت عبادة الأصنام إلى مكة في أيام خزاعة، ادخلها زعيمهم عمرو بن لحي حيث جلبها من الشام فعبدها. ثم عبدها أهل مكة.

تكاثر بنو إسماعيل ومنهم كنانة (وقريش فرع من كنانة)، فاستطاع سيدهم قصي ابن كلاب (الجد الرابع للرسول) أن يطرد خزاعة من مكة ويتزعمها، فأصبحت سيادة مكة لقريش، وحكمها بعده ابنه عبد مناف، وتقاسم الزعامة من بعده أبناؤه هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل.

وكان عبد المطلب بن هاشم (جد الرسول محمد) هو سيد مكة يوم حاول أبرهة غزوها فرده الله. وعرف هذا العام بعام الفيل، وهو عام مولد الرسول ﷺ في (٧٥٠ م/ ٥٢ ق.هـ).

عام الفيل ومحاولة هدم الكعبة:

بنى أبرهة الأشرم (حاكم اليمن الحبشي) كنيسة ضخمة مزخرفة في صنعاء وأسماها (القليس) ودعا الناس للحج إليها بدلًا من الكعبة (لأسباب دينية وسياسية واقتصادية) ففشل فشلًا ذريعًا (ولم يحج إليها أحد) فغضب وقرر هدم الكعبة، فسار إليها على جيش ضخم تتقدمه الأفيال. ولم يتصدى له أحد. وعندما دخل مكة وهم بهدم الكعبة أهلكه الله وجيشه. والقصة مذكورة في سورة الفيل.

وكانت حادثة الفيل كبيرة الأهمية عند العرب، فأخذوا يؤرخون بها، وهو العام الذي ولد فيه الرسول عليه السلام.

اقتصاديات العرب:

أهم مصادر الثروة عند العرب ارتبطت بالتجارة، وقد اشتهر العرب في الجاهلية بالتجارة شهرة واسعة.

وكانت التجارة عند قريش عصب الحياة، وقد ورد في القرآن ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾[قريش:١-٢]. وكانت رحلة الشتاء إلى اليمن. ورحلة الصيف إلى الشام.

زمن الفترة:

نلاحظ أن الرسالة انقطعت عن الجزيرة العربية مدة طويلة (من زمن إسماعيل إلى بعثة الرسول، وانقطعت عن العالم عمومًا منذ أن رفع الله عيسى حوالي عام (٦١٠ ق. هـ/ ٣٣ م).

وسميت هذه المدة زمن الفترة (فترة انقطاع الرسل).

فتخبط المجتمع أيما تخبط. وكان بأشد الحاجة إلى نبي، يعيده إلى الحق والصواب، وخاصة بعد أن حرفت الديانات السماوية وضاعت، فكانت رسالة محمد ﷺ إلى البشر كافة.

موجز التاريخ القديم:

- خلق الله البشر وبعث الرسل، لعبادته، وإقامة شريعته في الأرض.
- وكان آدم هو أول البشر وأول الأنبياء.
- تتابعت الحضارات وتوالى الأنبياء والرسل وأقدم الحضارات ظهرت في العراق ومصر والشام وجزيرة العرب.
- أهم حضارات العراق: السومرية، الأكادية، العيلامية، البابلية، الآشورية، والكلدانية. وأنبياء هذه البلاد: نوح وإبراهيم ويونس عليهم السلام.



- وأهم حضارات الشام: العمورية، الفينيقية، الكنعانية، الآرامية، ثم حضارة الأنباط وتدمر، ثم الغساسنة والمناذرة.

وأغلب الأنبياء والرسل ظهروا في بلاد الشام، فمنهم: لوط، إسحاق، يعقوب، أيوب، اليسع، يس، إلياس، داود، سليمان، زكريا، يحيى، وعيسى عليه السلام، وهم من بني إسرائيل، وأرسلوا إليهم وإلى غيرهم.

- وقامت في مصر الحضارة الفرعونية وحضارة الهكسوس، وظهر فيها من الأنبياء يوسف، موسى عليهما السلام.

- وظهر في جزيرة العرب قوم عاد وثمود وأهل مدين، وحضارات اليمن (معين، سبأ، حمير قتبان) والقبائل المهاجرة بعد انهيار سد مأرب، والأحباش، وذرية إسماعيل ابن إبراهيم. وأنبياء جزيرة العرب هم: هود، صالح، شعيب، إسماعيل عليهم السلام.

- وظهرت حضارات أخرى وسادت على وجه الأرض كحضارة الفرس ثم الإغريق ثم الرومان.

النتيجة:

معظم هذه الممالك والجماعات كذبت برسلها، وتمادت في غيها وانحرافها، وما آمن إلا قليل. ثم بعث الله آخر رسله (محمد) إلى البشر كافة في جميع أصقاع الأرض، وعلى يديه كانت هداية البشرية الضالة.